# الفهرست لابن النديم

كتاب "**الفهرست**" في أخبار العلماء وأسماء ما صنفوه من الكتب المعروف بـ "الفهرست" أو "فهرست العلوم"، وأحيانًا "فهرست العلماء"، قصد به مؤلفه أن يكون تاريخًا شاملاً للتراث العربي، ليشمل جميع الكتب العربية والمترجمة إلى العربية مع بيان تراجم مؤلفيها.

وقد بدأ ابن النديم تأليف كتابه سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م، وكانت الخبرة الشخصية هي المصدر الأول لابن النديم في كتابه، ثم ما رجع إليه من كتب مدونة؛ فقد أتاحت له مهنته أن يرى معظم الكتب التي ذكرها وأن يحاول تحديد قيمتها العلمية والمادية. ولنا هنا أن نثق بما يقوله من أنه رأى هذا الكتاب أو ذاك أو شاهد نسخة منه بخط المؤلف أو غير ذلك؛ فقد توافرت لديه إمكانيات مثل هذا العمل الكبير، ورغم هذا كله فقد فاتته كثرة من المؤلفات التي نعرفها من معلومات كثيرة قديمة وردت عنها في مصادر مبكرة والتي وصل إلينا بعضها أيضًا.

وقد قدم له بما يشبه المقدمة ببيان لغات الشعوب المختلفة وبيان أشكال حروفها وذلك على النحو التالي:

قسم ابن النديم "**الفهرست**" إلى عشر مقالات، وقسم كل مقال منها إلى عدة فنون يذكر في كل مقال فنًا من الفنون، فيذكر تاريخه غالبًا، والمؤلفات فيه، ومؤلفيها، وهذه المقالات هي:

١ - التعريف بلغات العالم، والكتب السماوية: وهو ثلاثة فنون:

أ – بيان لغات العالم وأشكال حروفها (موضحًا ذلك بالرسم غالبًا)، وهي: العربية، السريانية، الفارسية، العبرية، الرومية، الصينية، الروسية، ولغات الصغد، والسودان، والترك، وفيه تعرض لفضل القلم والكتابة.

ب – التوراة والإنجيل: أقسامهما، وشروحهما، وما يتعلق بهما.

ج – القرآن الكريم: تاريخ جمعه، وترتيب نزوله، وسوره (على مصاحف: عثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبي بن كعب رضي الله عنهم) وبيان القراء والتفاسير وعلوم القرآن المختلفة.

٢ – النحويون واللغويون.

٣ – الأخباريون، والرواة، والنسابون، وأصحاب السير، والأدباء، والندماء.

٤ – الشعراء في الجاهلية، والإسلام (بغير استقصاء) وذكر دواوينهم.

٥ – المتكلمون من معتزلة، ومرجئة، وشيعة، وجبرية، وحشوية، وخوارج، وصوفية.

٦ – فقهاء المذاهب المختلفة، وفقهاء المحدثين.

٧ – الفلاسفة، والمناطقة، والرياضيون، والموسيقيون، والأطباء ونحوهم.

٨ – المسامرون، والمخرفون، والمصورون، والمشعوذون، وأصحاب السحر.

٩ – في مذاهب: الصابئة، والتنويه، والخرمية، والمذكية، وأديان الصين، والهند وغيرهم، وبيان كتبهم.

١٠ – الكيميائيون، والصناع.

كما اعتمد ابن النديم على جملة من المصادر منها كتاب "**أبي الحسن ابن الكوفي**"، وكان يعود بين الفينة والفينة إلى مصادر لم يصل إلينا أكثرها فهو يعتمد في التراجم كثيرًا على "**أبي سعيد السيرافي**" و"**أبي الفرج الأصفهاني**"، وعلى غيرهما، كما اعتمد على كتب تاريخية، وأخرى في الفرق والأديان، وعلى كتب ترجمت في الطبيعيات أو حول التراث اليوناني القديم.

وابن النديم ينزع في "الفهرست" إلى البعد عن الإطالة في أداء المعنى والمقدمات، بل يندفع إلى صميم الموضوع ابتداءً من غير مواربة ولا تمهيد ولم يحاول أن يزين عبارته أو يصقلها حسبما تقتضيه أصول البلاغة لكنه استطاع أن يؤدي ما يريد في ضبط وإحكام.

وسجل التاريخ العلمي "**للفهرست**" أنه أول وأهم كتاب في تاريخ التراث العربي وأكثرها شمولاً إلى آخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، كما أنه يمثل وثيقة تبين مدى ما وصل إليه المسلمون في حياتهم العقلية والعملية في ذلك العصر، والحصيلة العلمية الضخمة التي كانت بين يدي طلاب العلم آنذاك، وأكثر هذه الكتب التي وصفها قد ضاعت بتوالي النكبات المختلفة على ديار الإسلام، لاسيما الغزو التتري على بغداد، ولولا "**الفهرست**" لضاعت أسماؤها وأوصافها أيضًا كما ضاعت معالمها.

كما يعد الكتاب من أقدم كتب التراجم للأعلام والمؤلفين خاصة وبه حفظت لنا أسماء وتراجم جلة لا نجدها في غيره.

وقد انتفع الدارسون والمؤلفون بـ "**الفهرست**" فرجع إليه ابن خلكان في كتابه الحافل "**وفيات الأعيان**"، والداودي في "**طبقات المفسرين**"، وابن أبي أُصَيْبِعَة في "**عيون الأنباء**"، والقفطي في "**أخبار الحكماء**" وغيرهم.

وقد قام المستشرق "فلوجل" Fluegel (١٨٠٢-١٨٧٠م) بتحقيق أول الكتاب، ثم أتمه تلميذاه رويديجر Roediger و موللر Muller ونشر في ليبزج، سنة ١٨٧١-١٨٧٢م في ٢٨ صفحة من القطع الكبير، ومثلها فهارس وشروح بالألمانية، ثم نشرت قطعة كانت ساقطة منه سنة ١٨٨٩م.

وقد أعادت نشر الكتاب مكتبة خياط (بيروت) سنة ١٩٦٤م، وهي مصورة عن طبعة ليدن هذه.

وهذه الطبعة غير جديرة بالثقة، اتسمت بالأخطاء المتفشية بين دفتي الكتاب، وقراءة مواضع أفقيًا كان ينبغي قراءتها رأسيًا، وما لا يحصى من التصحيف والتحريف والسقط.

وقد قامت بطبع "**الفهرست**" أيضًا دار الكتب الحديثة (القاهرة) عام ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م، في ٥٢٨ صفحة، من القطع المتوسط بآخره فهارس قاصرة، وألحق به النص الساقط الملحق بالطبعة الألمانية، وهذه الطبعة مأخوذة عن الطبعة الألمانية بأخطائها المتفشية وإن خلت من الهوامش والتعليقات.

وقد أعادت نشر الكتاب دار المعرفة (بيروت) مصورًا عن هذه الطبعة عام ١٣٨٩هـ/١٩٧٨م.

على أن أحسن طبعات الكتاب وأوفاها تحقيقًا وفهارس طبعة طهران ١٣٩١هـ/١٩٧١م التي حققها رضا تجدد بن علي الحائري، لولا قلة دراية المحقق بعلم الرجال وأحوال الرواة وأسماء الأعلام والعلماء الذي أوقعه - مع جهده المشكور - في بعض الأخطاء (كما في ص ١٠٥ مثلاً)، كما اعترى الفهارس بعض النقص الذي أخل بالانتفاع العام بالكتاب، وقد سجل الرجل توصية مهمة في صدر تحقيقه فقال:

"ومع كل هذا إني أعترف صراحةً بأن الكتاب لا يزال بحاجة إلى النظر والتدقيق والدراسة والتحقيق،..".

فما زال كتاب "**الفهرست**" لابن النديم بحاجة بالغة لتحقيق دقيق وافٍ وفهارس علمية دقيقة شافية، يقوم بذلك متخصص - أو متخصصون - يستفيدون مما طبع من كتب التراث العربي والإسلامي، وفهارس المكتبات في العالم، والفهارس المكتبية (الببليوجرافيات) الكثيرة، وبرامج الحاسوب، وما تصل إليه أيديهم من معلومات وغيره على الشبكة العالمية (الإنترنت) لتقديم هذا السفر الذي هو إحدى غرر الحضارة الإسلامية في ذروة مجدها.